مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 13 ع 01، 16 /01 / 2024
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

تجربة النقد ما بعد الكولونيالي عند طوني موريسون "كتاب الآخر في الخيال الأدبي" أنموذجا

The postcolonial criticism Experience of Toni Morrison's The Other in Literary Fiction as an Paradigm

رويدي عدلا ن Rouidi Adlene rouidiadlene@yahoo.fr	أدب عربي	جامعة محمد الصديق بن يحي-جيجل/ الجزائر

DOI : 10.46315/1714-013-001-38

الإرسال:2023/06/30 القبول: 2023/11/08 النشر: 2024/01/16

**

Abstract:

Toni Morrison, a renowned American writer and novelist, has contributed significantly to literature with numerous novels and critical works, many of which have been translated into various languages, including Arabic. This article delves into the postcolonial criticism experience of Toni Morrison, using "The Other Book in Literary Fiction" as a prime example. The analysis focuses on dissecting the standing book description and evaluating its content and critical methodology employed by Toni Morrison. Furthermore, the study explores the representation of racial experiences in contemporary American novels, highlighting the presence of the Negro discourse within Morrison's critical works.

Keywords: Postcolonial criticism; Negro; Toni Morrison; Race; Discours.

ملخص:

طوني موريسون كاتبة وروائية أمريكية مشهورة، ألّفت العديد من الروايات والكتب النقدية، وترجمت رواياتها إلى لغات كثيرة ومنها اللغة العربية.

يحاول هذا المقال إلقاء الضوء على تجربة النقد ما بعد الكولونيالي عند طوني موريسون، كتاب الخيال الأدبي أنموذجا، وهذا من خلال الوقوف على وصف الكتاب، وتحليل مضمونه، والمنهج النقدي عند طوني موريسون، والتجربة العرقية في الرواية الأمريكية المعاصرة إضافة إلى حضور خطاب الزنوجة في كتابها النقدي.

كلمات مفتاحية: النقد ما بعد الكولونيالي؛ الزنوجة؛ طوني موريسون؛ العرق؛ الخطاب.

**

*- مقدمة:

لقيت دراسات ما بعد الكولونيالية استجابة كبيرة من قبل النقاد والدارسين في أغلب بقاع العالم خصوصا لدى الأقليات العرقية ومثقفي الهامش، حيث خلقت ثورة في حقل النقد الأدبي والنظرية الأدبية المعاصرة، وصنعت حوارا فكريا ثريا ساهم في هدم الكثير من المفاهيم والصور التي أنتجتها سرديات المركز الاستعماري عن الآخر في مراحل تاريخية محددة ومخصوصة، وقد استطاعت هذه الدراسات التوغّل إلى عمق تلك الخطابات وحقولها اللغوية المتشعبة مستعينة بمختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية، فكانت أكثر فعالية وأشدّ نجاعة في تشريح تلك الخطابات

المتحيّزة كما كانت لها قدرة كبيرة في اقتحام المشهد النقدي العالمي والوسط الآكاديمي في أوروبا وأمريكا والاستحواذ على انشغالات الباحثين والدارسين، خصوصا وأنّها تمثل حراكا فكريا متمردا على أعراف النظرية النقدية والقرائية، كما تأسّس لفهم جديد في التعاطي مع مختلف النصوص الأدبية والثقافات الإنسانية، لذلك خلّفت ضجة كبيرة في حقل النقد والأدب، من خلال ما أفرزته من مفاهيم وتصورات تخصّ طرائق قراءة وتأويل النصوص بشتى أجناسها فكان أثرها كبيرا على الكثير من النقاد والأساتذة، الذين ينتمون إلى ثقافة الأطراف، ويدرّسون في الجامعات الغربية الكبيرة خصوصا في أمريكا.

وتعد طوني موريسون Toni Morrison من الكاتبات والناقدات البارزات في الساحة الأدبية والنقدية الأمريكية والعالمية، حيث مارست هذه الدراسات وهذا النقد، وأسست لمشروع نسوي في الكتابة والنقد يتميز بالفرادة والخصوصية، حيث صنع قوته ومناعته الإيديولوجية، وصار محل اعتراف في الأوساط الآكاديمية والثقافية والنقدية في أمريكا والعالم، هذا المشروع أثبت صلابته، وتبلورت معالمه من خلال مجموعة من الروايات المتنوعة والكتب النقدية التي أنتجتها هذه الكاتبة والناقدة والأستاذة الجامعية في مختلف حقول المعرفة الانسانية، خصوصا ما تعلق بقضايا الزنوجة، حيث عبّرت عن مختلف آرائها ومواقفها الثابتة اتجاه ما يتعرّض له السود في أميركا والعالم من انتهاكات ومظالم في حق هذا العرق الإنساني، وفي مقدمتها التمييز العنصري والعبودية الممارسة على الزنوج، وقد استطاعت أن تفتح مشروعها الثقافي والنقدي هذا على مستويات عدّة وأصعدة مختلفة، من أجل الكشف مفعول الإيديولوجيا الأمريكية المعاصرة في صناعة الخيال الأدبي، من بوابة الرواية الأمريكية التي أنتجها كتّاب وكاتبات من الجنس الأبيض، هذه الرواية التي تصبح قيد محاكمة من قبل الناقدة من أجل إدانتها وإثبات هذه التهم الإيديولوجية والسرديات المنحازة، انطلاقا من مقاربة ثقافية تفكيكية، تقف على أنماط التمثيل السردي في النصوص الروائية.

وقد جمع هذا المشروع النقدي بين دفتيه هموم الزنوج والعرق الأسود، وما عايشوه من قمع وإقصاء في المجتمع الأمريكي طيلة عقود طويلة من الزمن حيث يجتمع فيه التحدي والمقاومة والصمود في وجه الإيديولوجيا العرقية المتطرفة، وما تركته من صور نمطية وسرديات متحيّزة للبيض ومنتصرة لحضارتهم وثقافتهم، في مقابل ذلك إقصاء للهوية الزنجية وثقافة العرق الأسود.

ومن منطلق هويتها اللونية كزنجية وبحوثها ودراساتها المتعلقة بالسرديات البيضاء، التي تبلورت ضمن كتاب "الآخر في الخيال الأدبي"، حاولت طوني موريسون Toni Morrison قراءة وتفكيك مجموعة من الروايات لكتّاب وكاتبات من الجنس الأبيض، وممارسة تأويل دقيق لهذه النصوص، من أجل إماطة اللثام عن الأقنعة المتخفية خلف هذه السرود، والأهداف الفعلية التي تعمل هذه السرديات على تسويقها للمتلقي، وكيف تعمل على إنتاج تمثيلات سردية وصور نمطية عن هذا

العرق، باعتبار عرق لا يرتقي لمرتبة الإنسانية والحضارة والتقدم، عكس الجنس الأبيض الذي هو رمز للحضارة والتفوق والارتقاء، وهذا ما ساهم في بروز خلخلة وتفاوت كبيرين داخل المجتمع الأميركي خصوصا على المستوى الثقافي، والإشكالية المطروحة هنا:

أين تتجلى معالم النقد ما بعد الكولونيالي في كتاب "الآخر في الخيال الأدبي" لطوني موريسون ؟ وماهي أهم القضايا النقدية التي توقّف عندها هذا الكتاب؟

هذا المقال يهدف إلى بيان معالم هذا النقد عند طوني موريسون Toni Morrison عبر كتابها هذا.

ومن أجل الإجابة عن هذه الإشكالية، تمّ الاعتماد على الخطة المنهجية التالية:

-طوني موريسون والتجربة الاستعمارية العرقية.

-وصف الكتاب.

-العرق بوصفه موضوعا ثقافيا ونسقا مضمرا في مشروع طوني موريسون.

-طوني موريسون والقراءة الطباقية لإدوارد سعيد.

-المنهج النقدي عند طوني موريسون.

-كتاب الآخر في الخيال الأدبي وتفكيك سرديات البيض.

2-طوني موريسون والتجربة الاستعمارية العرقية:

ظهرت حديثا العديد من السرديات الاستعمارية في الولايات المتحدة الأمريكية، عملت على تدمير الذاكرة التاريخية للزنوج والأقليات العرقية المضطهدة، واستبعدت كل ممارسة اجتماعية أو ثقافية أو دينية تخصّهم مهما كان شكلها، كما اقترحت بديلا مغايرا للأشكال الأصلية من العلاقات، حينما أخضعت الزنوج إلى علاقة تبعية مع السياسة العرقية المركزية، من غير احترام وتقدير لخصوصية وطبيعة العرق الأسود والملونين ودورهم في بناء الحضارة الأمريكية.

وتصنّف الكاتبة طوني موريسون Toni Morrison من جيل الكاتبات الأمريكيات الأفريقانيات اللواتي عايشن التجربة الاستعمارية والعرقية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما خلق نوعا من المقاومة والرد بالكتابة المناهضة للإيديولوجية العرقية الأمريكية، وما خلّفته من آثار سلبية على الزنوج، «فالإنسان الأسود بما أنه مأخوذ بهويته ومفتون بها فإنه يرى نفسه محروما من أن يعانق ذاتيته، ومن ثمّ الوصول الى امتلاك ذلك الوعي الثوري»(الخضراوي، 2015، صفحة 72)، هكذا تشكل وعي جديد لدى الكاتبة والناقدة بضرورة محاربة هذه الإيديولوجيا العنصرية، والتصدي لمخططات السياسة الأمريكية الإقصائية، فأفرز نموذجا فريدا في الكتابة الزنجية لدى موريسون Morrison، الأستاذة والناقدة والكاتبة، حيث عملت على التصدي لهذا النمط في التفكير ومخلفاته السلبية على العرق الأسود، وهذا عبر مشروع نقدي وتوعوي، حيث حملت زمام

المبادرة وأثبتت جرأة في الطرح، ونقد المؤسسات والأنظمة الفاعلة في صناعة هذه الصور والتشكيلات السردية، بل ونقد السرديات الكبرى في الأدب الأمريكي، المكتوبة في ظل السياسة العرقية المتطرفة، التي اكتسبت شرعيتها عن طريق السلطة السياسية ومفعولها، وليس من خلال جمالياتها الأدبية والفنية وتراكيبها الأسلوبية، لذلك يصنف خطابها النقدي ضمن خطابات ما بعد الاستعمار، التي جاءت «كردّ فعل على تحيزات الخطاب الاستعماري، الذي اختزل الشعوب والثقافات غير الغربية على أنها أنماط مضادة للتحديث وعائقة للتطور وقدم لها وصفا يوافق مقولاته» (إبراهيم، 2018، صفحة 254) وأهدافه الاستراتيجية على المدى البعيد.

وقد أنتجت موريسون Morrison خطاب نقدي ما بعد استعماري من خلال كتب إبداعية ونقدية، ومن ضمنها كتاب "الآخر في الخيال الأدبي"، ففي هذا الكتاب برزت الشخصية النقدية لموريسون Morrison من خلال تناول نصوص روائية محورية في الأدب الأمريكي، فكان ردّها بالكتابة على مختلف الممارسات الخطابية الاختزالية لثقافة الزنوج وتاريخهم، وتفكيك أهداف الإيديولوجيا الأمريكية الاستعمارية في علاقتها بالأعراق المهمشة والأقليات المعزولة، حيث أدّت هذه العلاقة غير السويّة بين الطرفين، المستعمر والمستعمر إلى تدمير الطبيعة واستغلال الإنسان وممارسة العبودية عليه «فلا يقرّ الخطاب الاستعماري بالمساواة، ولا يؤمن بالشراكة الإنسانية في القيم العامة، وتقوم فرضيته على ثنائية ضدية، فالمستعمر ممثل للخير وسمو المقام والرفعة الأخلاقية والتقدم، أما المستعمر فمستودع للشر والانحطاط والدونية والتخلف ولا سبيل للقاء بينهما، إلاّ حينما يدرج المستعمر تابعا للمستعمر»، (إبراهيم، 2018، صفحة 243)، وهذا ما ينطبق على الزنوج وتاريخهم.

لذلك عملت على إبطال هذه المقولات وفضحت «التصورات المجتزئة للتشكيلات العرقية والعقائدية والثقافية التي أغفلت البطانة المعقدة للعلاقات والهويات والانتماءات» (إبراهيم، 2018، صفحة 254)، وهذا عبر أدلة دامغة نابعة من تلك النصوص الأدبية نفسها، التي لم تمنح الزنوج حقهم في بناء الهوية الأمريكية، لذلك فهذه السرديات عاجزة عن تمثيل ثقافة أصلية واقعية وصادقة، لأنها تمنح ولاءها للإيديولوجيات العرقية المركزية على حساب الأعراق الهامشية التي لا تقل شأنا عن غيرها.

3-وصف الكتاب:

كتاب "الآخر في الخيال الأدبي"، هو كتاب نقدي مترجم ألّفته الناقدة والكاتبة الأمريكية طوني موريسون Toni Morrison، أمّا العنوان الأصلي «playing in the Dark whiteness and Literary Imagination»، ترجمه إلى اللغة العربية الأستاذ والناقد والمترجم المغربي محمد مشبال، عن دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى2018.

هذا الكتاب النقدي من الحجم الصغير، يحتوي على أكثر من 144 ورقة، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات النقدية.

يتشكل هذا الكتاب من مقدمتان، مقدمة المترجم باللغة العربية وتحمل عنوان: في بلاغة النص الأدبي والآخر، ثم مقدمة الكاتبة نفسها، ثم المتن الذي يحتوي على ثلاث مقالات نقدية تطبيقية على نصوص روائية أمريكية معاصرة. في المقالة الأولى المعنونة ب"قضايا سوداء" تناولت إشكالية العلاقة بين الافريقانية والخيال الأدبي، والمقالة الثانية الظلام وسيمات الرومانس في رواية "أرثر جوردن بايم" لإدغار ألان بامبو Edgar Allan poe الكاتب الأمريكي الأكثر أهمية بالنسبة للافريقانية الأمريكية، ورواية "هاكليري فين" لمارك توين MarkTwain، وفي المقالة الثالثة "الممرضات المزعجات وطيبوبة سمك القرش"، اشتغلت الناقدة على دراسة العرق كنسق سياسي وإيديولوجيا مدمّرة متجاوزة العرق وبعده البيولوجي مع ازدياد العنصرية حيث كانت تطمح فيه إلى «رسم تحول الأفريقانية الأمريكية عن أغراضها التبسيطية والخطيرة في إقامة الاختلاف التراتبي نحو خصائصها البديلة باعتبارها تأملات مستبطنة لفقدان الاختلاف ونحو وجودها المورق والمزدهر في بلاغة الفزع والرغبة» (موريسون، 2018، صفحة 116)، وقد قامت بدراسة وتفكيك هذا الكمّ الكبير من الروايات المتنوعة والمختلفة البيئات والإيديولوجيات، استنادا لمناهج نقدية معاصرة وفي مقدمتها النقد ما بعد الكولونيالي.

4-العرق موضوعا ثقافيا ونسقا مضمرا في مشروع موريسون:

تنطلق طوني موريسون Toni Morrison في مشروعها النقدي والثقافي ضمن هذا الكتاب، من إشكالية جوهرية معقدة تمثل لبّ هذه الدراسة، وهدفها المعرفي والمحوري وهي: كيف يتصرف الكاتب (التخييل الأدبي) عندما يروم تخيّل الآخر الإفريقي الأسود أو عندما يصطدم بالإيديولوجيا العرقية؟

من هنا تبدأ رحلة البحث عن الحلقة المفقودة والموضوع المنسي في السرد الأمريكي المعاصر المكتوب بأيادي بيضاء، حيث «ترى موريسون أنّ الأفريقانية ظلت حقلا مهمشا وغائبا في الخطاب النقدي» (موريسون، 2018، صفحة، 29)، الأمريكي عموما، وفي نقد وتأويل السرد على وجه الخصوص، لذلك اهتمت بموضوع السواد والزنوجة وبالفرد الأسود ولونه وسماته الجسدية والنفسية، وطرائق تفكيره ضمن النصوص السردية والخطابية، والسرد اللوني يعتبر نسقا مضمرا ضمن تلك الخطابات، «فاللون كنسق ثقافي تبنى عليه تصوّرات وهي تحمل كلها الشيء ونقيضه كما هو شأن النسق الثقافي، حيث يكون هناك معنيان متناقضان ويتصاحبان في تجاور دائم»(كاظم، 2004، صفحة، 11) كما يرتبط بكل مناحي الحياة النفسية والاجتماعية، فنسق التلوين الثقافي أمر من أشدّ الأمور حساسية في الثقافة، واللون يعبّر عن خصوصية المجتمع وتركيبته الاجتماعية وثقافته السائدة، فهو حامل لمختلف القيم والسياسية والاقتصادية، كما يلج إلى كل مجالات الحياة والثقافة الإنسانية، «فالثقافة التي مارست عليه عمليات الاستعراض والتمثيل، ونصّبت نفسها مركزا للكون وصاحبة الحق والامتياز في تمثيل الآخرين والكتابة عنهم، وخصوصا إذا كان هؤلاء الآخرون عاجزين عن تمثيل أنفسهم وذلك ما داموا لا يملكون أهم أداة من

أدوات تمثيل الذات» (كاظم، 2004، صفحة 165)، فالسرد الأمريكي ظل لأمد طويل يهيمن عليه الرجل الأبيض بعبقريته وقدرته الخارقة في بناء الحضارة، ولا يمنح أية أهمية للسود في الولايات المتحدة.

فالخصائص الزنجية ظلت لأمد طويل محاطة بالصمت والغياب والإقصاء في الرواية الأمريكية المعاصرة، التي «تتبنى وجهة النظر الاستعمارية التي تحفر على استدامة السيطرة وعدم التفريط فيها» (الخضراوي، 2015، صفحة، 87) خصوصا السرديات البيضاء في هذه المرحلة التاريخية، «فبظهور الرجل الأبيض في عالم الملونين اختل التوازن فوقع تضاد بين العالمين، تضاد في القيم والأخلاق والثقافة، وليس ثمة حل سوى إعادة إنتاج جديدة للعالم طبقا لمعايير القيم الغربية» (إبراهيم، 2018، صفحة، 267)، لذلك وعلى غرار إدوارد سعيد Edward Said وضعت موريسون Morrison فرضية تورّط الرواية الأمريكية في تشييد المشروع الاستعماري والإيديولوجي والعرقي، كما في أعمال مجموعة من الروائيين، خصوصا قضايا التمييز العنصري والعبودية والعرق الأدنى، وهذا من أجل استعادة صوت المهمش والمقموع.

هذه النصوص الروائية ينبغي تعاطيها بوعي نقدي مختلف، وقد أثبتت من خلال مقاربتها النقدية صحة فرضيتها حول صورة السود، من خلال الإقصاء والتدنيس والإخضاع والهيمنة باسم السرد، وهدفها الأسمى إثبات الأثر السلبي للإيديولوجيا العرقية في البناء الفني للرواية «ففي تحليلها لرواية سافيرا والأمة للولا كاثر وقفت الناقدة على علل إخفاق الرواية جماليا، وعلى الخلل في منطق بناء الحبكة الناجم عن التأثير القوي للعرق في استراتيجية السرد ومصداقيته» (موريسون، 2018، الصفحات 27-28)، في مقابل ذلك الحضور الثانوي للعرق الأسود في الرواية، لذلك عملت على تصحيح المغالطات الاستعمارية، وتعرية الحقائق، وإعطاء الصورة الحقيقية والمغيبة للزنوج، والدفاع على هذا العرق البشري، الذي هو دفاع عن ذاتها باعتبارها متلقية زنجية، وفوق هذا فهي تطرح هذه القضية ليس من زاوية سياسية فحسب ولكن من زاوية فنية، تريد من خلالها خلق متلق جديد لتلك النصوص السردية غير ذلك المتلقي التقليدي والمركزي، المحتكر لعملية القراءة ونشاط التأويل، والبحث عن الصورة المغيبة في الخيال الأدبي الأمريكي، «فالعرق في الرواية الأمريكية يمثل إعادة اكتشاف الأدب الأمريكي وإعادة تأويله في سياق جديد هو سياق القارئ غير الأوروبي أو غير الأبيض، الذي يبحث عن ذاته وعن صورته في الخيال الروائي، أي البحث عن صنع حضور السود والزنوج والأفارقة الأمريكيين في خيال الأسياد وعن تأثير الأفريقانية أو الصورة السوداء في التخييل الأدبي» (موريسون، 2018، صفحة 35)، والبحث عن أنماط التمثيل الأدبي المجازي والاستعاري والرمزي الممارس في تلك النصوص وتشكيلاتها الخطابية.

ولتحقيق هذا الطموح العلمي والمعرفي، ومن أجل البحث عن مناهج خاصة في مقاربة تلك النصوص السردية، استفادت طوني موريسون من المشاريع الثقافية الهجينة كمشروع إدوارد سعيد Edward Said.

5-طوني موريسون والقراءة الطباقية لإدوارد سعيد:

القراءة الطباقية تشتغل وفق آلية خاصة ودقيقة، و«تتحدد هذه الآلية كونها تتشابه إلى حد ما بآلية المقارنة التي تعدّ أحد المداخل النقدية لآداب ما بعد الكولونيالية» (رامي، 2013، صفحة 242)، حيث تقوم بوضع الأعمال الأدبية في مخابر التحليل والتشريح، وربطها بسياقات إنتاجها، حيث تشتغل على

قراءة النصوص الأدبية الاستعمارية في سياق المقاومة والتصدي، والبحث عن النسق المضمر والإيديولوجيا السياسية الخفية، في إطار تجربة تاريخية مفتوحة على العالم بشتى مظاهره، لذلك فهي تمارس أحيانا فلسفة التاريخ، وتحليل تاريخاني للثقافة الغربية وأجناسها السردية، عن طريق القراءة الطباقية، التي تعمل على تحليل أشكال رؤية الأنا للآخر عبر الأدب والفن، من خلال التمثيلات السردية، « والمقابلة بين عالمين بكل ما يمثله من حضور ثقافي أو ترميز لغوي، وهي في معظمها تقوم على نسق ثنائي بنيوي بين نص المستعمر ونص المستعمر، هذه المقابلة تتخذ تعدّدها على أكثر من مستوى» (رامي، 2013، صفحة 242)، ومن خلالها يتم تفكيك خطاب الهيمنة.

فهذه القراءة لا تكتفي بتحليل المضمون، بل تغوص في العوالم الجمالية للنص، كالصور الاستعارية والرمزية والكنائية وأنماط المجاز، وضمن مشروعها النقدي ومقاربتها الثقافية عملت موريسون Morrison على فتح النصوص على مختلف السياقات التاريخية والاجتماعية، أو ربطها بالعالم باصطلاح إدوارد سعيد Edward Said، انطلاقا من فرضية مسبقة تقول بأنّ «أدب الولايات المتحدة كتاريخها تعليق على تحولات الاختلاف العرقي البيولوجي والإيديولوجية الميتافيزيقية» (إبراهيم، 2018، صفحة 118)، ومن هذا المنطلق تشكل مشروعها البحثي العميق، من أجل التنقيب عن مفعول الإيديولوجيا السياسية والعرقية ضمن الكتابة الأدبية الأمريكية، «وذلك بغية تفكيك التصورات والتمثيلات التي صاغها الغربي للآخر» (رامي، 2013، صفحة 230)، الذي يمثل الرجل الأسود أحد أهم أعراقه المهمشة والمختزلة، التي تمّ إخضاعها ثقافيا عبر مجموعة من الخطابات الغير بريئة، لذلك عملت على «إظهار الأفريقانية باعتبارها تقنية روائية جوهرية في بناء الشخصية، فالحضور الأسود وصور السواد مهمان لأجل المقارنة وتأمّل النظير الأبيض، والمتفوق والقانوني والحرّ والشجاع والعارف والرجولي، وغيرها من الصفات التي تحدد هوية الفرد الأمريكي وتؤسس اختلافه» (موريسون، 2018، صفحة 31)وهذا من أجل ترميم هوية العرق الأسود التي دمّرت وإعادة بناءها من جديد، لهذا ترى موريسون Morrison أنه ينبغي إعادة النظر في التجربة الاستعمارية الامبريالية وفي النظرة الإقصائية للسود الملوّنين، فينبغي عدم عزل النص الأدبي عن سياقه العام الذي أنتجه، فعبر وعي منهجي نقدي جديد قامت بإعادة قراءة الرواية الأمريكية والسرديات البيضاء، « فالباحثة مهتمة بدراسة صيغ حضور السود ودلالاته أو ما تسميته بالأفريقانية الأمريكية، التي تحددها بأنها بحث عن في الطريق التي يبنى بها الحضور أو الشخصيات غير البيضاء، والأفريقانية في الولايات المتحدة وفي الاستعمالات التخييلية التي يخدمها هذا الحضور المبتدع » (موريسون، 2018، الصفحات 28-29)، والتمثيل السردي المرسوم ضمن تلك النصوص عبر طرائق فنية وتعبيرية، وقد «قادها هذا البحث في تأمل السواد والظلمة والشخوص السوداء في الرواية الأمريكية إلى إعادة اكتشاف هذه الرواية، ورؤية ما تنطوي عليه من تمثيل مجازي واستعاري للحضور الأفريقاني، الذي شكل وسيلة لتحديد الذات الأمريكية، باعتبارها ذات حرة وقوية ومحبوبة وتاريخية وبريئة» (موريسون، 2018، صفحة 29) فالأسود ليس أقل شأنا من الأبيض في تشييد الهوية الأمريكية.

6-المنهج النقدي عند طوني موريسون Toni Morrison:

من الكاتبات والناقدات اللواتي مارسن النقد ما بعد الكولونيالي في الولايات المتحدة الأمريكية نجد طوني موريسون Toni Morrison، التي عكفت على دراسة مجموعة من المدونات الروائية الأمريكية تنتمي لمجتمع البيض، لذلك « صاغت مقاربة نقدية أدبية ونوعا من التأويل الأدبي المرهف الذي يستند إلى دخيرة أدبية غنية من الأعمال الأدبية وإلى تجربة في الكتابة الروائية، وبالطبع إلى تجربة تاريخية باعتبار الناقدة ذات أنثوية إفريقية أمريكية» (موريسون، 2018، صفحة 31)، تحاول هدم مجموعة من التصورات والأصنام المترسبة في الذاكرة الأمريكية لمدة طويلة من الزمن، لذلك تقول: «إنني أعتزم تقديم وصف عام وموجز لمشروع نقدي جذاب ومثمر واستفزازي مشروع غير مثقل بأحلام التدمير أو الحركات المحتشدة لمواجهة أسوار القلعة» (موريسون، 2018، صفحة 31)، ونفض الغبار عن تلك الذاكرة المنسية، وتدمير تلك الأفكار المضللة والخاطئة، حيث قامت بتفكيك مختلف أشكال التمثيل السردي، وتفتيت هذا الخيال الأدبي، حيث كشفت عن مختلف الأنساق المضمرة، والممارسات الخطابية الثقافية الغربية، وقد اعتمدت على استراتيجية التفكيك في مقاربة هذه الخطابات، وممارسة التأويل كمنهج في مقاربة هذه الخطابات الأدبية المتطرفة والمنحازة للعرق الأبيض، وهذا من خلال تفكيك مختلف الأبنية الداخلية لهذه الخطابات المركزية، واكتشاف ما تخفيه من أشكال الهيمنة والسيطرة على ثقافات الزنوج وخصوصياتهم، لذلك راحت تشرّح هذه السرديات المتطرفة التي تمارس سلطتها القمعية والإقصائية للزنوج، لتحلل تواطئ هذه السردية وحضارتها في تهميش ثقافات الزنوج والسود في أمريكا، ومن ثمّ تفتيت هذا المركز وإعادة الاعتبار لهذه الثقافة وهذا الهامش المختزل، وبالتالي منحها القضية بعدا إنسانيا، كما عملت طوني موريسون Toni Morrison على تأكيد مجموعة من المسلمات، وإثبات القرائن والتهم الإيديولوجية الموجهة لهذا الخطاب السلطوي، لتشرّح بدقة متناهية الصورة النمطية التي أنتجتها سرديات البيض عن السود وامتدت إلى أجيال من الباحثين، حول طبيعة الأسود، الذي يرمز دوما للتخلف والحيوانية وينافي شروط الحضارة، ولتبرز «وظيفة حضور السود في بناء العمل الروائي وإيديولوجيته أو الكفّ عن الاستراتيجيات اللغوية والأدبية التي يعدّها الكتاب عندما يكتبون عن الآخر الأفريقاني» (موريسون، 2018، صفحة 36).

وقد تشكل المشروع الثقافي لطوني موريسون Toni Morrison عبر مجموعة من التراكمات الفلسفية والعلمية، التي شيّدت معمارا فكرا ثوريا وفريدا، ينزاح عن باقي المشاريع الثقافية والنقدية الأخرى، ويتمرد على أعرافها في التحليل والتأويل، هذا الفكر الذي يفتح النصوص والخطابات الأدبية أمام الممارسة القرائية العميقة والنشاط التأويلي الفعّال، والمنتج للمعنى، وهذا ضمن فضاء غير محدود من الدلالات المتصارعة والمتحاورة مع بعضها البعض، حيث يشتغل هذا المشروع على تقويض سرديات البيض من الداخل وتفتيتها وإعادة بنائها، حيث قدمت موريسون Morrison ممارسة تأويلية وقراءة معمقة للرواية الأمريكية «لتثبت حضور السود في هذه الرواية وأهميته السردية والثقافية في تحديد هوية الذات الأمريكية البيضاء» (موريسون، 2018، صفحة 26)، وتبرز مفعول السود في الأدب الأمريكي، والإيديولوجية الاستعمارية العرقية.

وهذا عبر إعادة النظر في نواميس الكتابة الروائية المركزية، وطرائق تعبيرها المجازية والرمزية، والحفر في باطن هذه الخطابات السردية، لإظهار الدلالات المخفية، وإخراجها إلى السطح، نظرا لما تحبل به من قيم رمزية وأنساق مضمرة خطيرة، وهذا ما تهدف إليه طوني موريسون Toni Morrison ضمن جهدها العلمي هذا، حيث استثمرت العديد من العلوم والمعارف من علم النفس والاجتماع والفلسفة والتاريخ من أجل بناء هذا الصرح العلمي والنقدي، وضمن مشروعها الثقافي والنقدي عملت طوني موريسون Toni Morrison على إعادة فتح النصوص الأدبية على مختلف السياقات السياسية والتاريخية والاجتماعية، والعودة إلى النقد الإيديولوجي، مع تطعيمها بمختلف المناهج النقدية الحداثية وما بعدها، من أجل البحث عن مفعول الإيديولوجيا وأسرها ودورها في تشكيل النصوص، وهذا لا يتأتّى إلاّ عبر مقاربة تأويلية عميقة في التعاطي مع مختلف الخطابات الإنسانية والأدبية وفي مقدمتها الرواية، والكشف عن العلاقة التي تربط هذه الأعمال الروائية بمنتجها وثقافاتهم وأعراقهم، ومختلف المؤسسات السياسية والثقافية التي كان لها مفعول كبير في تصدير هذه التمثيلات السردية، والصور النمطية حول السود ضمن مرحلة تاريخية محددة، وهذا يتمّ عبر الغوص في عمق هذا الخطاب ودهاليزه اللغوية المظلمة، ووضعه في سياقه التاريخي والزمكاني والانساني لإظهار مختلف أشكال صراع التأويلات باصطلاح بول ريكورPaul Ricoeur ، ف«النص الروائي عند طوني موريسون ليس كلا منغلقا أو بناءا جماليا يمكن توصيفه، ولكن خطاب عن الإنسان في فضاء جغرافي معين ومرحلة تاريخية محددة» (موريسون، 2018، الصفحات 38-39)، فالنصوص حسبها لا يمكن أن تعيش بمعزل عن الأحداث السياسية والثقافية، لهذا ينبغي عدم عزلها عن الأحداث المحورية التي أنتجتها في إطارها التاريخي، «فالنص الأدبي كيان مخصوص تتحرك في فضائه قوى عديدة» (الخضراوي، 2015، صفحة 85)، تتحاور أحيانا وتتصارع في أحايين كثيرة، لهذا ينبغي العودة إلى سياق إنتاج النص لاقتفاء الأثر الإيديولوجي ومفعوله الخطير ضمن النص الأدبي وهذا هو الدور الأساسي للناقد، الذي لا يبحث في الجماليات والمتعة داخل النص الأدبي، فهذا ليس من أولوياته ومهامه الرئيسية، ولكنه يبحث في القبحيات ف«النقد عند طوني موريسون ذو وظيفة ثقافية إيديولوجية بقدر ما هو ذو وظيفة جمالية، فهي لم تتصد لنصوص الرواية الأمريكية لإظهار قيمتها الجمالية، ولكنها تصدّت لها للدفاع عن ذاتها وتاريخها وإنسانيتها باعتبارها أنثى زنجية» (الخضراوي، 2015، الصفحات 37- 38)، تمثل هوية الفرد الأسود وتاريخه وثقافته، هكذا تتداخل الوظائف الإيديولوجية بالوظائف الجمالية داخل النص، لكن الغلبة تكون للوظيفة الأولى لأنها أكثر اقترابا من ذات المبدع، لتصنع في الأخير دنيوية النص باصطلاح إدوارد سعيد Edward Said، هكذا تعود وظيفة النقد عند طوني موريسون Toni Morrison إلى إطارها الطبيعي بالعودة إلى السياق وتمظهراته السردية، وهذا ضمن مقاربة شمولية تحيط بالنص من كل الزوايا، وفي إطار هذه المعطيات نلمس لدى موريسون Morrison اشتغال على مجموعة من الظواهر والقضايا الجوهرية للزنوجةّ كالتميز العنصري والعبودية واللون والعرق، كما تستثمر نظريات علم النفس والاجتماع في دراسة علاقة السلطة والهيمنة بالثقافة على شاكلة إدوارد سعيد Edward Said، من خلال استرجاع السياقات التاريخية المتعلقة بالنصوص والكتاّب والكاتبات التي عملت على

دراسة نصوصهم السردية، لتبحث عن الجانب المظلم والمهمش داخل أبنية النصوص، وممارسة النشاط التأويلي الفعّال والمنتج للمعنى، لذلك ركّزت طوني موريسون Toni Morrison على مفعول الإيديولوجيا العرقية الأمريكية، وتواطأ الكتّاب في تسريبها وتحصين المشروع الامبريالي بمختلف مؤسساته وأنظمته المعرفية المتعددة، لذلك انتقل النص في الخطاب النقدي الموريسوني(نسبة لموريسون)، من الأحادية إلى التعددية، وأصبح « وثيقة تعكس القيم الإيديولوجية والسياسية السائدة من ناحية، وتتخذ نقطة انطلاق لإعادة تصور تلك القيم، وإعادة بنائها في ظل صراع طبقي ثقافي لا يتوقف من ناحية أخرى» (حفناوي، 2008، صفحة، 47).

وبهذا الشكل يصير النص عبارة عن جملة ثقافية تعيش ضمن فضاء ثقافي وإيديولوجي أنتجه، وما تودّ موريسون Morrison الوصول إليه هو الكشف عن الأنظمة الداخلية لهذه العلامة في إطار مناهج التحليل المعرفية وتأويل النصوص، وخلفياتها التاريخية والتحليل المؤسساتي، لذلك فهي تضع النص «داخل سياقه السياسي من ناحية وداخل سياق القارئ أو الناقد من ناحية أخرى» (حفناوي، 2008، صفحة 47)، وهذا ما يمنحه تعددية وتوالدا دلاليا «فاللغة وتكوينها في النص الأدبي وما يعتريه من حضور آلية التمثيل بالتجاور مع هيمنة مقولة الآخر-كل ما سبق-يأتي في سياق عنوان أكبر قوامه تقويض الآنا» (رامي، 2013، صفحة 233)، فقراءة موريسون Morrison للنصوص تحاول الكشف عن مفعول المؤسسة في صنع النصوص والثقافة، لذلك تعيد مراجعة النقاش الثقافي، وذلك عبر تقويض الإيديولوجيا العرقية الأمريكية المهيمنة وتفكيكها من الداخل على المستوى السردي والخطابي.

7-كتاب الآخر في الخيال الأدبي وتفكيك سرديات البيض:

تبلورت معالم النقد ما بعد الكولونيالي عند طوني مورسون Toni Morrison مع كتابها "الآخر في الخيال الأدبي"، حيث حاولت فيه الربط بين الرواية الأمريكية كسردية أدبية وفنية، والإيديولوجيا العرقية والعنصرية المتطرّفة، فالرواية حسب موريسون Morrison كانت من الفنون الأدبية الأكثر فعالية في ترويج الخطاب الإمبريالي والعرق الأبيض الأسمى، التي اعتمدتها أمريكا في استلاب الزنوج المهمشين في المجتمع الأمريكي وإقصائهم من حقوقهم الشرعية، حيث يظهر هذا جليا في مقاربتها للنصوص الروائية الأمريكية وربطها بسياقها الإيديولوجي، وقد حاولت من خلال عملها النقدي هذا تقويض هذه الإيديولوجيا وإماطة اللثام عن شخصية الأسود المغيّب ودوره المحوري في بناء الهوية الأمريكية الشاملة، وانتزاع الصورة الحقيقة له، عبر استنطاق المسكوت عنه، وتجاوز أشكال التمثيل السردي التي اختزلت صورته الحقيقية، وعملت على تبني «وجهة النظر الاستعمارية التي تحفر على استدامة السيطرة وعدم التفريط فيها» (الخضراوي، 2015، صفحة 87).

وطوني موريسون Toni Morrison من خلال اشتغالها على كمّ كبير من النصوص الروائية الأمريكية وعبر مسح شامل للنصوص الروائية قيد الدراسة، وبالاستعانة بمجموعة من المناهج النقدية والتجارب الروائية المشهورة في المشهد الأدبي الأمريكي المعاصر، عملت الناقدة على إعادة قراءة هذه السرديات وتأويلها بوعي نقدي جديد، يراعي خصوصيتها التاريخية والإيديولوجية، من أجل الكشف عن التجاوزات العرقية والجنسية، وآليات القمع والاستغلال الممارسة في حق الزنوج، وأنماط السرديات التخييلية

الإستعلائية، وتمثيلات المستعمر في خطاب المستعمر، وهذا الأمر جاء عن طريق تواطئ الإيديولوجيا العرقية مع الرواية، لذلك راحت طوني موريسون Toni Morrison تحلل وتشرّح مختلف الروايات التي استثمرت عنصر العرق في بنياتها السردية والخطابية، فمعظم هذه الروايات تبرز النظرة الدونية للعرق الأسود، وتظهر الصورة الحقيقية لهذه الإيديولوجيا المتسلّطة والمهيمنة، التي ترفض التعايش والاختلاف، وتكشف عن دور الزنوج في بناء الهوية الأمريكية وقومياتها المتعددة والمتنوعة، واسترجاع إنسانيتهم وحقوقهم المهضومة وثقافتهم المهمشة، ومن أجل إقرار العدالة بين مختلف الأعراق البشرية داخل المجتمع الأمريكي المتعدد القوميات والهويات، لذلك صار النقد عندها «مطالب بالكشف عن الوظيفة الثقافية والإيديولوجية للنصوص الأدبية بدل العكوف عن فحص قيمه الجمالية» (موريسون، 2018، صفحة 10)، من خلال تقويض تلك النصوص من الداخل، والحفر في معمارها اللغوي وتمشيطه وتحليله على المستوى الرمزي والاستعاري والكنائي، وصناعة خطاب نقدي مضاد يقف على مواطن الزيف والخداع داخل الأعمال الأدبية، نظرا لما تسرّبه من أفكار خطيرة، والرواية الأمريكية قدّمت أنماط عديدة من الصور وطرائق التمثيل السردي، التي أفرزت في الأخير صورة مشوّهة عن الزنوج وخصائصهم، وقد كان هدف موريسون Morrison تغيير هذه الصورة القاتمة التي أنتجها الخيال الأدبي عن الأسود، وإظهار الحقيقة للمتلقي، والكشف عن الصيغ والتقنيات الروائية التي استثمرها هذا السرد في تسويق الإيديولوجيا العرقية العنصرية، كمؤسسة إمبريالية تشكلت ضمن معطيات تاريخية وسياسية، لتصوّر مركزية العرق الأبيض وتفوقه كعرق راقي وحضاري، وهذا من خلال تصوير الأسود على أنه سلبي ومقصيّ وغير متحضّر، وهذا عبر صور وأشكال من التمثيل الاختزالية للذات الزنجية المقهورة. فطوني موريسون Toni Morrison تمارس النقد الما بعد كولونيالي، فتنتقد مختلف الأطراف الفاعلة في صناعة هذه الصور، والمؤسسات التي روّجت لها وسوّقت لها، وبالتالي كان النقد عندها بحث عن الإيديولوجيا وثقلها المعرفي داخل النصوص الروائية، فالرواية نفسها هي خطاب إيديولوجي يرسّخ لمجموعة من الأفكار والعقائد والتصوّرات ويخدم مؤسسات بعينها، فهو عبارة عن «تخطيط فكري جرى دعمه بتشكيلات عقائدية ومفاهيم متعددة مضمونها أنّ بعض الشعوب وبعض البقاع تتضرع الى أن تخضع للسيطرة» (موريسون، 2018، صفحة 10)، هكذا تتحوّل الرواية بدورها إلى مؤسسة إمبريالية عرقية، منتجة لأشكال من التمثيل والصور النمطية المزيفة، وتخفي الحقائق الأصلية عن المهمشين والمستضعفين، وأعراق الحواشي والأقليات الهجينة لذلك يجب إعادة النظر في هذه التراتبية المقيتة والتصنيف العنصري، واسترجاع الدور السردي للشخصية الزنجية ووظيفتها ضمن البناء العام للرواية. «وهكذا يبدو أثر إدوارد سعيد عبر تبني الناقدة لفكرة المقاومة الإبداعية المدعّمة بقيم إنسانية عالمية ضد ثقافة أحادية مهيمنة كما بيّنت ماري تريز» (الخضراوي، 2015، صفحة 88).

فكتاب "الآخر في الخيال الأدبي" هو كتاب تعمل فيه موريسون Morrison على تفكيك الرواية الأمريكية المعاصرة وخطابها الإيديولوجي الغير بريء، الذي يحمل بين جنبيه جملة من الأهداف الاستراتيجية التي تهدف الإيديولوجيا العرقية إلى تمريرها والوصول إليها، محاولة تحليل تواطؤ تلك الإيديولوجيا

الإمبراطورية المتسلطة مع الرواية الأمريكية الحديثة، وهو عند طوني موريسون Toni Morrison يمثل ببساطة المادة التاريخية والفضاء المميز من الثقافة الأمريكية، التي تتناولها بالتحليل النقدي والدراسة المعمقة، وهو كتاب عن العرق الأسود وثقافته، والمفارقات الضدية التي تقوم فيه، لذلك تحاول موريسون Morrison في كتابها هذا، أن تمتلك آليات وأساليب عديدة في تفكيك وقراءة تلك السرديات المتعددة الروافد والامتدادات الثقافية والتاريخية والسياسية التي تضرب بجدورها في مختلف المجالات الثقافية والإنسانية، لتمارس سلطتها وتحكم سيطرتها وقبضتها على الثقافات الهامشية وثقافة الأقليات (رامي، 2013، صفحة 236)، فرؤية الآخر تتم ضمن حيّز من السلطة الفوقية والقوة والقهر، لذلك يجب النظر إلى الرواية الأمريكية كظاهرة تاريخية تابعة لتلك الإيديولوجية العرقية المتطرفة التي ترفض فكرة الحوار مع الآخر الأسود والتعايش معه، محاولة تكريس نوع من المركزية الثقافية للرجل الأبيض المتحضّر، وتثبيت قالب ثقافي موحّد، تقتدي به باقي الثقافات الإنسانية الهامشية، وتعمل على محاكاته والسير على دربه، « فمازال مفهوم المثاقفة مفهوما أورو أمريكيا يعمل لصالح طرف واحد هو المركزية الأورو أمريكية الأدبية والفكرية» (إبراهيم، 2003، صفحة 68) لتبقى ثقافة الهوامش والأطراف النائية خاضعة لهذا النمط الثقافي، فهذه المثاقفة هي قهرية أو إجبارية، أي تجبر الأطراف على اختيار النموذج قصريا، فالرواية الأمريكية المعاصرة حسبها« تقدم تمثيلا يوافق الفكر الشائع للحملات الاستطانية فيما وراء البحار حيث يتم تهديم نسق ثقافي وزرع نسق آخر محله وهذه الانساق محملة بدلالات ثقافية تفضي بالملوّن لأن يكون تابعا والأبيض متبوعا» (إبراهيم، 2018، صفحة 71)، لذلك تستمر موريسون Morrison في تحليل مجموعة من الروايات الأمريكية البيضاء لروائيين وروائيات كبار أمثال إدغار ألان بو ومارك توين، من أجل اكتشاف ذلك التواطؤ الموجود بين الرواية والإيديولوجيا العرقية في اختزال العرق الأسود، « فالرواية الغربية لم تنج من الضغوطات المعلنة أو المضمرة في إضفاء شرعية على الوجود الاستعماري في المستعمرات النائية من خلال اختزالها للإفريقي أو الآسياوي أو الأمريكي الاتيني أو العربي إلى نموذج للخمول» (إبراهيم، 2018، صفحة 71)، وهذه الصورة استمرت ومازالت حتى الآن، حيث تمكنت من خلق نوع من الاختلاف والتمايز بين مختلف الأجناس، ومن خلال الحفر في بعض الأعمال الروائية الكبيرة اكتشفت موريسون Morrison+ أنّ الرواية الأمريكية هي الأكثر اهتماما بحقائق العرق واللون نظرا لكثرة الأجناس والأعراق، واضطهاد للأقليات، وقد أثبت هذا من خلال دراستها لمجموعة من الأعمال الروائية، ففي تحليلها لطرائق الحكي وأشكاله في هذه الروايات اكتشفت موريسون Morrison أنّ « الشكل السردي يشتق من منظومتين في عالم ما بعد الاستعمار الذي تلا عالمه : الأولى تتيح للمشروع الإمبريالي القديم المجال الكامل ليمسرح نفسه بالصورة التقليدية، أي ليصوغ العالم كما رأته الإمبريالية، أمّا المنظومة الثانية فهي منظومة محلية مرتبطة بزمان ومكان محددين لا هي صحيحة دونما شرط ولا هي مؤكدة دونما قيد» (إبراهيم، 2003، صفحة 29)، فالثقافة ومن ضمنها الأعمال السردية ممثلة خاصة في الرواية، تستثمر من قبل الكتّاب الأمريكيين في خدمة الأهداف الإمبريالية والإمبراطورية، فسارت جنبا إلى جنب مع تلك الإيديولوجيا الإقصائية، وتفاعلت معها وذلك من أجل تشكيل ثقافة عامة وحضارة شاملة من منظور الجنس الأبيض المتفوق، بالمقابل خلقت سرديات مضادة ومقاومة لتلك التصورات والأفكار

النمطية، لتستنطق صوت المقموع وتعيده إلى سكة الحضارة، وهذه السرديات هي إفراز منطقي لما فرضته الإيديولوجيا السابقة، من أجل إعادة الاعتبار للفرد الأسود.

8 - خاتمة:

في ختام هذا المقال أمكننا الخروج بجملة من النتائج، التي تمثل زبدة هذا البحث، الذي كان عبارة عن قراءة نقدية للخطاب النقدي لطوني موريسون Toni Morrison من خلال كتابها "الآخر في الخيال الأدبي"، وهو خطاب نقدي عميق، يحاول تفكيك وتشريح السرديات الأمريكية البيضاء، من أجل الكشف عن مفعول الإيديولوجيا العرقية في تشكيل معمارية تلك النصوص ضمن سياقات معينة، كاشفة عن الوجه الحقيقي للسرديات البيضاء والإقصاء الذي تمارسه في حق السود، الذين هم ضحايا لهذا الاختزال الثقافي والعرقي، وعبر استراتيجيات دقيقة وبشكل أعمق من حيث المحتوى والمنهج والنقد، انصبّ بحث طوني موريسون Toni Morrison حول تجليات الإيديولوجيا الأمريكية المعاصرة وأشكالها ودلالتها، من حيث تمركزها حول معنى القوة، ومحو الآخر الزنجي، وإنتاج أشكال معرفية وتمثيلات نمطية عن السود، كما تطرقت إلى مسألة الهوية والمقاومة، وهذه فقط بعض المفاهيم التي طرحتها طوني موريسون Toni Morrison وحاولت إثباتها من أجل إعادة الاعتبار للعرق الأسود وثقافته كثقافة لها الحق هي الأخرى في فرض منطقها لتتشكل وفق ذلك ثقافة إنسانية تستوي فيها مختلف الثقافات، لا ليصبح العالم أحادي القطبية الثقافية، التي تفرض نموذجا واحدا يقتدى به كل الأطراف، وهذه الدراسة اتخذت جملة من المناهج في قراءة الخطابات الغربية وتقويضها، فكشفت عن الهوية السياسية لمختلف السرديات البيضاء، ومراميها الخفية والمضمرة، وأثبتت التهم الموجّهة لها عبر قرائن نصية مستفيدة من أدواتها المنهجية، لتصوير هموم الجنس الأسود داخل المجتمع الأمريكي.

وكتاب "الآخر في الخيال الأدبي" لطوني موريسون Toni Morrison هو كتاب عن العرق الأسود ومختلف همومه وقضاياه المحورية، وسرد مضاد لسرديات البيض وثقافتهم، والتناقضات التي تحملها هذه النصوص، حيث عاينت طوني موريسون Toni Morrison الآخر من خلال ما أنتجته عقول وعواطف الروائيين الأمريكيين والروائيات الأمريكيات ضمن متونهم الروائية، وما خلّفته من قوالب تعبيرية، وطرائق من التمثيل المتعصّبة للجنس الأبيض، وهكذا استطاعت هذه الكاتبة والناقدة أن تكشف عن مختلف الأنساق المضمرة التي تختفي خلف الاستعارات اللغوية، وأنماط القلب الرمزي ضمن تلك الخطابات والنصوص، وتمثيلاتهم المختلفة في إقصاء الزنوج وثقافاتهم، في مقابل ذلك ترسيخ لثقافة البيض، وهذه المركزية المتسلطة والقمعية، جعلت الكاتبة طوني موريسون Toni Morrison باعتبارها تنتمي إلى الهامش تثور على هذا الواقع المتحيّز، لتحاول الثورة عليه والدعوة إلى تشكيل خطاب نقدي مضاد، يكون الهدف منه البحث عن الهوية الزنجية المغيّبة، وهي الحلقة المفقودة ضمن المجتمع الأمريكي، الذي تبلور على أنقاض إثنيات وأعراق عديدة ساهمت في نهوض هذا المجتمع وتقدّمه، والهوية الزنجية ليست أقل قدرا من تلك الأعراق، وهذا المشروع الثقافي يعتبر من المبادرات الجريئة والشجاعة في الفكر الأمريكي المعاصر، ونالت من أجله الاعتراف والتقدير والتكريم من قبل السلطات السياسية الأمريكية، وفي مقدمتها الرئيس

الأسبق باراك أوباما، وقد نالت جائزة نوبل للآداب عام 1993، لأنه يحمل رسالة ثقافية وفكرية وإنسانية سامية تنبني على رفض الأوضاع الحالية، ومحاولة السير بها نحو الأفضل، خصوصا من زاوية العرق الأسود.

**

9-المصادروالمراجع:

1-الخضراوي إدريس، (2015)، الرواية العربية وسياقات ما بعد الاستعمار، المغرب، أفريقيا الشرق.

2-رامي أبو شهاب، (2013)، الرسيس والمخاتلة خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر (النظرية والتطبيق)، الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

3-عبد الله إبراهيم، (2018)، التخيل التاريخي السرد والامبراطورية والتجربة الاستعمارية، الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

4-عبد الله إبراهيم(2003)، السردية العربية الحديثة-تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة-، بيروت، المركز الثقافي العربي.

5-طوني موريسون، (2018)، الآخر في الخيال الأدبي، تر: محمد مشبال، الأردن، دار كنوز المعرفة للتوزيع.

6-ناذر كاظم، (2004)، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.